الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

السبت 24 ذو الحجة 1422 هـ 9 مارس 2002 العدد 8502

الأبعاد الشرعية والاستراتيجية للمبادرة السعودية

أنور ماجد عشقي *

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

منذ أكثر من شهر، عندما كانت الأمور تتعقد حول القمة العربية المزمع انعقادها في بيروت، صرح الأمير عبد الله بن عبد العزيز، بثقة راسخة، قائلاً: ان القمة العربية سوف تعقد، وان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات سوف يحضرها، فهل كان يقرأ التطورات المستقبلية؟ أم كان يخطط لها؟ ولم يمض شهر واحد على ذلك حتى صرح بمبادرته، فتحرك العالم مؤيداً لها ومفعلاً لمضامينها، وفتحت الأبواب أمام القمة، وأتيحت الفرصة لمشاركة الرئيس الفلسطيني فيها.

فالمبادرة لم تكن وجهة نظر، كما وصفها بعض المحللين الأميركيين ولم تكن، ايضا، خطة سلام، فلو كانت كذلك لأشارت الى بعض التفصيلات مثل الجولان ومزارع شبعا وعودة اللاجئين. ولو كانت وجهة نظر لطرحت في الاعلام، ولم تكن لتقدم كمقترح في القمة المقبلة، فهي مبادرة استراتيجية للسلام تقابل مصطلح Stratigic Peace Proposal.

جاءت المبادرة شديدة التوازن لتتعامل مع قضية بالغة التعقيد، فهي تتطلب تحليلاً دقيقاً لكي ندركها ونتعامل معها.

فالحقوق بين الطرفين العربي والاسرائيلي متشابكة، والتعامل معها يتطلب منا الوقوف أمام نوعين من الحقوق، حقوق مفروضة، وأخرى مفترضة. فالحقوق المفروضة تتطلب عودة كامل التراب الفلسطيني الى أهله الشرعيين، والحقوق المفترضة تقضي بالاتفاق على إعادة ما احتلته اسرائيل عام 1967 واقامة الدولة الفلسطينية عليه بعاصمتها القدس الشرقية، وهذا ما تناولته المبادرة السعودية للسلام مسايرة لما اقرته الشرعية الدولية من قبل، طبقاً لقرارات الأمم المتحدة 338 و 242 و 194، وما اتفقت عليه دول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأميركية. فالقبول بالحقوق المفترضة والاتفاق عليها، لا يتعارض مع احكام الشريعة الاسلامية، وان كانت تستنكرها بعض النفوس لعدم ادراك أبعادها، لكن المصالح الدولية تتقبلها.

ففي صلح الحديبية وقع النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش معاهدة بالحقوق المفترضة، مع انه من حق المسلمين المفروض الدخول الى مكة المكرمة والطواف بالبيت في ذلك العام، لأن الاعراف الدينية كانت تعطي الحق لكل العرب أن يطوفوا بالبيت، ومع ذلك تنازل النبي عليه الصلاة والسلام عن الحق المفروض الى الحق المفترض، فوافق على العودة الى المدينة، لأداء العمرة في العام الذي يليه مع أصحابه بلا سلاح.

ومن صور الحقوق المفروضة المساواة بين الطرفين، لكن النبي صلى الله عليه وسلم تنازل عن هذا الحق فوافق على أن من جاء من المشركين مسلماً أن يعيده الى مكة، وان من ذهب الى مكة خارجاً عن المسلمين لا يعاد الى المدينة.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم عظم المكاسب من جراء القبول بالحق المفترض. وكان من أهمها:

- حقن دماء المسلمين ممن معه، وعدم تعرض المسلمين بمكة للقتل.

- كسب الاعتراف بدولة الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد توقيع الاتفاق، لأن اعتراف قريش له معناه عند القبائل العربية.

- تجميد الجبهة الجنوبية وتشتيت الجبهة الشرقية والتفرغ للقضاء على الجبهة الشمالية في خيبر، حيث كان اليهود يحرضون ويمولون ويغدرون.

- فتح أبواب الدعوة، فجاءت الوفود بعدها وبعث عليه الصلاة والسلام بالرسائل الى الزعماء والملوك.

- اتاحة الفرصة أمام تحقيق الحق المفروض، لهذا كان الاتفاق مؤقتاً ولعشر سنوات من الهدنة والسلام.

فالمبادرة السعودية، مبادرة شرعية مدروسة دراسة متأنية، وليست ردة فعل غير محسوبة، لهذا تلقت التأييد من الأصدقاء والخصوم والأعداء.

والمبادرة جاءت في وقت وجدت فيه اسرائيل نفسها أنها قد وصلت الى حافة الانهيار، فكانت ردود فعلها تتفاوت بين ترحيب حزب العمل، وتحفظ الليكود، وتهافت دعاة السلام عليها.

لقد وصل الصراع داخل الأراضي المحتلة الى حالة يمكن ان توصف بتوازن الرعب، فالإرهاب الذي تمارسه السلطات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني من قتل وتدمير بمختلف الأسلحة الثقيلة، كان يقابل بالترهيب عن طريق الجهاد والاستشهاد، حتى تقاربت النسبة في عدد الضحايا، فالمصادر الاسرائيلية تصرح بأن نسبة القتلى بلغت اسرائيليا واحداً الى أربعة فلسطينيين، بينما صحيفة «نيويورك تايمز» تؤكد في عددها يوم السبت أول مارس أن عدد القتلى في الصف الاسرائيلي اكثر منهم في الجانب الفلسطيني، فهل تتحمل اسرائيل ذلك؟

واذا كان المعتدى عليه يتألم من قسوة المعتدي، فإن المعتدي يعاني من آلام الضمير اكثر مما يعانيه الضحية، لأن ما يقوم به الفلسطينيون يدخل في عداد البطولة فيتسابقون اليه، اما ما يقوم به الاسرائيليون فيندرج في عداد العدوان فيتراجعون عنه.

إن العدو الصهيوني يدرك في قرارة نفسه أنه معتد وأنه محتل، لهذا نجدهم يترددون في القتال مع ما لديهم من ترسانة سلاح تفوق ما لدى الدول العربية مجتمعة، ولديهم من سلاح الدمار الشامل، ما لا يوجد له مثيل في الدول الافريقية ودول الشرق الأوسط.

لقد لوحظ ان الرموز الثقافية والسياسية والاجتماعية في الكيان الصهيوني، بعثوا بأبنائهم وذويهم الى الخارج، مما انعكس على الجنود وأفراد الشعب الاسرائيلي احباطا وحقداً، فأصبح الهروب من اسرائيل والهجرة المرتدة منها الى الخارج، أمراً عادياً بعد أن كان يشكل في الأدبيات الصهيونية جرماً دينياً يصل الى الردة عن الدين اليهودي.

ان المتتبع لما يجري داخل الكيان الاسرائيلي، سوف يلاحظ التآكل الذي اعترى اقتصاده من صناعة وتجارة، اذ اخذ ما لا يقل عن 43% من المصانع الاسرائيلية يعاني من خفض الانتاج، حتى وصل بعضها الى حد التكلفة، وان ثلاثمائة من المصانع قد اغلقت، ومائة وخمسين مصنعاً أشهرت افلاسها، ومائة مصنع توقفت تماماً عن العمل، كما ان حجم البطالة في ارتفاع، بالاضافة الى انهيار السياحة، حتى وصل الدخل الى النصف عما كان عليه قبل الانتفاضة.

ولو نظرنا الى التركيبة الاجتماعية لوجدنا انها أصبحت تعاني خللاً لا يمكن تصحيحه، اذ ان اكثر من ربع مليون عامل جلبوا من أوروبا الشرقية ليكونوا بدائل للعمال الفلسطينيين، فأحدثوا تغييراً في التركيبة الاجتماعية، بسبب زواجهم من يهوديات، وحصولهم على الهوية الاسرائيلية، ورفضهم تعلم اللغة العبرية، فشكلوا كياناً جديداً داخل المجتمع الإسرائيلي، بعد حصولهم على الحقوق والامتيازات.

أما على الجانب الفلسطيني، فقد تعود الفلسطينيون على التعايش مع الأزمة، وأخذوا يمارسون حياتهم الطبيعية في ظل العدوان اليومي، فالطلاب يذهبون الى مدارسهم بانتظام، والعمال يتوجهون الى مصانعهم، والموظفون الى مكاتبهم.

كما لوحظ التطور الذي حدث على التسلح الفلسطيني، والتقدم في الأداء الجهادي، مما يوحي بالثقة، ويؤكد على قدرة الانتفاضة على الصمود لسنوات، لو ظلت الانتفاضة على تطور أدائها لسنة قادمة، فإن الفلسطينيين لن يرضوا حتى بقرار التقسيم الذي صدر عام 1948.

لقد انتقلت اسرائيل الى مرحلة بداية الانهيار، فصورة الموقف بدت مرسومة على وجه الرئيس ياسر عرفات، الذي نجده رغم الحصار والقصف، أعرض ابتسامة وأشد حماسة من ذي قبل، بينما نرى شارون مرتبكاً غاضباً عصبي المزاج.

لقد صرح بيلي جراهام في 3 مارس الجاري، وهو من أقوى المناصرين للصهيونية: «ان التماسك الاسرائيلي بدأ في التفكك، وان الدولة الصهيونية تنجرف الى الهاوية».

ان مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز حظيت بارتياح، ليس من قبل الأوساط الأوروبية والاميركية وحدها، بل من قطاعات واسعة داخل الكيان الصهيوني، اذ دعمت جانب الاعتدال، وقدمت للعالم الغربي صورة مشرقة عن سماحة الإسلام في وقت ساء فيه الفهم للاسلام.

والى جانب ذلك كشفت عن نوايا شارون وزمرته الذين يدعون حرصهم على السلام، ويعملون على تكريس الاحتلال والعدوان، ومع هذا فقد كسرت المبادرة الجمود في الموقف، وفتحت بارقة أمل لوقف النزيف الدموي. ان المبادرة تبقى اقتراحا اذا التفت الأطراف من حوله ترجم الى خطة تفصيلية كفيلة بإعادة الحقوق الى أصحابها.

* كاتب ومفكر سعودي

Share >> <
Tweet

بريـد طبـاعة